

الدمار وجرائم حرب

حواجز الموت*

لا تزال حكاية ميسون حايك (23 عاماً)، التي فقدت زوجها برصاص جنود الاحتلال المرابطين عند الحاجز العسكري الذي أقاموه عند بلدة حوارة، قرب نابلس، بينما كانت في طريقها لتضع مولودتها "فداء"، ورغم ما كتبه وسائل الإعلام المختلفة عنها، تصعق كل من يقرأها أو يسمعها.. فمهما كان هذا الشخص "محايداً"، سيكون من الصعب عليه أن يقر بانتماء هؤلاء "القتلة" إلى أية معان إنسانية.. إنهم لا يقتلون فحسب، بل يتلذذون بذلك.

تقول حايك: حوالي الساعة الثانية والنصف من صباح الخامس والعشرين من شباط [فبراير] الماضي، وبعد أن تجاوزنا حاجز حوارة العسكري بما يقارب الـ600 متر، مذعنين لطلبات جنوده، بما فيها الكشف عن بطني للتأكد من الحمل، سمعت إطلاق رصاص كثيفاً وبعدها ازدادت كثافة النيران المصوبة تجاهنا مباشرة.. حذرت زوجي واحتميت بحقيبة الملابس التي كنت قد أعدتها للولادة.. استمر إطلاق الرصاص حوالي خمس دقائق، وبعد أن توقف ذهبت إلى زوجي لأخبره بذلك فوجدت الدم يسيل بغزارة من فمه.. كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.. رأسه انحنى باتجاه اليمين ويده كانت لا تزال على مقود السيارة.. لقد استشهد.

وتتابع: كان زجاج السيارة الأمامي شبه مهشم.. كنت لا أزال أصرخ من آلام الولادة، وعمي (والد زوجي) يصرخ من جرح ما.. هجم عدد كبير من جنود الاحتلال على سيارتنا، موجهين بنادقهم صوبنا.. قلت لهم "بيبي.. بيبي" في محاولة للإشارة إلى أنني في حالة وضع، إلا إنهم لم يأبهوا.. وبعد أن تمتموا ببضع كلمات بالعبرية أشاروا لي بالنزول من السيارة.

* يوسف الشايب، "24 حالة ولادة على الحواجز العسكرية: حرب شارون تطال الأجنّة"، "الأيام" (رام الله)، 2002/3/21، ملحق "اليوم الثامن". وقد تم الاعتماد على توثيق مؤسسة "الحق" في معظم الشهادات التي تضمنها التقرير.

همجية.. وعنصرية

وتواصل حايك سرد حكايتها: أشاروا لي بأن أكشف عن بطني فكان ذلك، إلا إن أحد الجنود لم يكتف بذلك، بل وجه سلاحه صوبي وبدأ يصرخ طالباً أن أنزل "الروب" الذي كنت أرتديه ففعلت.. وبعدها طلبوا مني خلع "البلوزة والبنطلون".. ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد، فقد أرغموني على خلع الملابس الداخلية أيضاً!!! تم إحضار حمالة من إحدى الآليات العسكرية القريبة، ووضعت عليها عارية تماماً ومن ثم أحضروا عمي، بعد أن نزعوا عنه كامل ملابسه أيضاً.. سارت بنا إحدى الدبابات عاريين قرابة النصف ساعة، كنت أخال أننا ناهبون لأحد المستشفيات القريبة، إلا إن شيئاً من ذلك لم يحدث، فقد تمت إعادتنا إلى حاجز حوارة غير البعيد، حيث وضعونا في البرد والعراء مدة ساعة كاملة.. كنت أشعر أنني أموت من شدة الألم والبرد، ومن شدة القهر والذل أيضاً.. بعد ساعة أحضروا لي الروب، حيث حضرت سيارة إسعاف عربية لنقلي إلى المستشفى، وما إن وصلت السيارة حتى قام الجنود بقذفي من الحمالة إلى الأرض، فما كان من طاقم الإسعاف الفلسطيني إلا أن تلقفني بسرعة وانطلق إلى مستشفى رفيديا حيث وضعت "فداء".

وتتابع: وبعد أن أفقت من البنج علمت من الأطباء أنني كنت قد أصبت برصاصة في كتفي اليسرى، وشظية في كتفي اليمنى، كما أن عمي أصيب بعدة رصاصات، بعضها خطيرة، تلقى العلاج على إثرها في المستشفى ذاته.

[.....]

"بعدها علمت أن زوجتي فاطمة، الحامل في شهرها السابع، والتي كانت قد وضعت مولودة في شهرها السابع أيضاً، ستلد، قمت بمحاولة نقلها من الولجة حيث نسكن إلى المستشفى في بيت لحم، في سيارة صديقي التي كان يستخدمها لنقل الدواجن.. كانت القوات الإسرائيلية في ذلك الوقت تجتاح بيت لحم وبيت جالا وتقطع كل الطرق المؤدية لها، بما فيها الطريق التي تربط بين الولجة وبيت لحم.. بهذه الكلمات بدأ ناصر عبد ربه يصف ما حدث تماماً معه وزوجته عندما شعرت بآلام المخاض في الحادي والعشرين من تشرين الأول [أكتوبر] 2001.

ويتابع: عند وصولنا إلى الحاجز العسكري، كان الجو ماطرًا، وكانت زوجتي تعاني من آلام شديدة.. لم يخرج الجنود من الغرفة المخصصة لهم، فنزلت من السيارة وتوجهت نحوهم.. على بعد أربعة أمتار من غرفتهم أعدّ أحدهم سلاحه بغية إطلاق النار عليّ قائلاً: لا تقترب.. قلت له: زوجتي ستلد وأريد الذهاب بها إلى المستشفى فأشار إليّ

بالرجوع رافضاً طلبتي.. بعدها خرج جندي آخر، وعندما شاهد أن عنواني في الهوية هو بيت جالا، قذف الهوية في وجهي وقال صارخاً: أنتم تطلقون النار علينا في الليل وتريدون العبور من هنا في النهار.. عد من حيث جئت.

ويواصل عبد ربه حديثه: أصررت على طلبتي فغضب الجندي ودفعني فدفعته بصورة تلقائية ما تسبب في سقوطه أرضاً.. قام وضربني بكعب بندقيته على رأسي، ثم هجم عليّ حوالي ستة جنود وأخذوا يضربونني بعنف، وحينما نزلت والدتي من السيارة بغية نجدتي قاموا بدفعها واستمروا في ضربي.. وبعد نصف ساعة من الضرب أمروني بالانصراف "والآ" .. عدنا إلى الولجة لنحاول الكرة لاحقاً مع سائق آخر، إلا إن الجنود رفضوا مجدداً، بل إنهم باتوا يراقبون زوجتي وهي تتألم، بعد أن احتجزوا بطاقة هويتي، وكانوا يسخرون منها ويضحكون على آلامها.. وبينما كنت أحاول مغادرة الحاجز دون بطاقة الهوية، وبينما كانوا يدفعونني ويسخرون مني أخبرني السائق بأن زوجتي أنجبت في السيارة.. أخبرتهم بأنها أنجبت فأمطروني بشتائم بذيئة للغاية، وعندما شاهدوا الدماء و"ماء الخلاص" وشاهدوا الطفل يصرخ بشدة أطلقوا سراحنا وسمحوا لنا بالعودة.. قمت بلف المولود الذكر بمعطفي، لأنقله بعدها إلى المستشفى الفرنسي... عندها أشار الطبيب إلى أننا تأخرنا كثيراً في إحضار الطفل، لا سيما أنه "سباعي" .. تم وضعه في حاضنة، "وفي مساء اليوم التالي توفي إثر إصابته بالتهاب رئوي والتهاب في مكان الحبل السري، علاوة على إصابة الأم بتسمم في الرحم".

أرقام وإحصاءات

وتشير إحصائيات أعدتها مؤسسة "القانون" إلى أنه وحتى الثاني من آذار [مارس] الجاري كان هناك 23 حالة ولادة على الحواجز العسكرية الإسرائيلية في الضفة الغربية والقطاع، منها ست حالات إجهاض، تسببت قنابل الغاز في ثلاث منها، في حين تسببت الإعاقة على الحواجز في الحالات الأخرى.

[.....]

في مسح أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني على عينة عشوائية طبقية ممثلة للمجتمع، خلال الفترة من 11 نيسان [أبريل] إلى 15 أيار [مايو] من العام 2001، أشارت النتائج إلى تضاعف نسبة النساء الحوامل اللواتي لم يتلقين رعاية أثناء الحمل بواقع 4.5 أضعاف منذ بداية الإجراءات الإسرائيلية بتضييق الخناق على الشعب الفلسطيني، من خلال الحواجز العسكرية.. ويفيد التقرير أن 19.6% من النساء الحوامل

في الأراضي الفلسطينية لم يتلقين رعاية أثناء الحمل، منهم 5.2% لم يتلقين الرعاية بسبب صعوبة الوصول إلى مكان تلقي الخدمة، و1.6% لعدم مقدرة الكادر الطبي على الوصول إلى مكان تلقي الخدمة.

[.....]

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>